

## مديح الجهل المعرفك، والتحفظ على العلم الزائف (2-؟)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD200413.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/04/20

السنة السادسة - العدد: 2059



أنهيت حوارى معك يا مولانا الأسبوع الماضى بقولى "ونواصل مع انتقاءات مريدك المغربى أ. د. توفيق رشد الأسبوع القادم ونحن نستمع إلى ما قاله لك عن العلم والجهل، وها هو الأسبوع القادم قد جاء، فحاولت أن أهرب من وعدى خوفا من نفس الاحتمالات التى ذكرتها الأسبوع الماضى وهى مظنة ترويح الجهل ونحن لسنا ناقصون، فلم أستطع.

ما زلت يا مولانا أذكر حوارى مع شيخى محفوظ - حفظه الله- وهو يصر على أن حلّ مستقبل البشرية سوف يأتى بفضل العلم ومن العلم وبالعلم، أنا أعلم يا مولانا أنك كنت تتابعنا برغم أن شيخى - غالبا- لم يكن من مريدك، لكن ما وصلنى منه هو حب غامر واحترام مطلق لكل اجتهادك ومجاهدتك، لا أعرف لماذا لم أفتح معه بقدر كاف بعض ما كان يصلنى من موافك أو مخاطباتك، مع أننى أصدرت كتابى الأول عن بعض موافك وأنا فى صبحته، وقد امتدحه صديقه وابنه د. زكى سالم وهو أكثر إحاطة منى بما هو تصوف، من أول الأمام الغزالي (الماجستير) إلى ابن عربى (الدكتوراه)، وكان الأستاذ يعرف بخل تلميذه هذا فى تقرير أى عمل كان، وحين مدح هذا الكتاب الذى كتبتة فى رحابك، قال لى شيخى محفوظ أن على أن آخذ هذا المديح بحقه، لأنه صادر من قارئ مقل جدا فى مثل ذلك، المهم أنى أذكر يا مولانا أن د. زكى قال عن نصوصك عموما إنها تقترب من النص المقدس، لم يبالغ، ولم يعتبرها نسا مقدسا، لكنه من فرط تقديره الطيب لها قال إن لها قيمة عالية إلى هذه الدرجة، ثم دعنى أسر إليك يا مولانا سرا كتمته طويلا حتى عن صاحبه، ذلك أنه خيل إلى أحيانا أننى لمحت طيفك بجوار عمنا عبد ربه التائه فى أصداء سيرة شيخى نجيب محفوظ، ولم أصدق، ولم أخبر أحدا حتى الشيخ عبد ربه نفسه.

نرجع مرجوعنا إلى تقديس شيخى محفوظ لما هو علم، ولو أنه من محبى الشعارات لرفع شعارا يقول "العلم هو الحل"، ومع أننى لم أترك فرصة واحدة لم أعترض فيها على رأيه هذا، حتى فى نقدى لبعض أعماله، ومن ضمن ذلك دور "عرفة" فى "أولاد حارتنا" وكيف كان يحلم بإحياء الجبلوى بأدواته العلمية (كما وصلتنى) بشكل أو بآخر، اعترضت على ذلك صارخا أنه إذا كان عرفة هو العلم، فلا وألف لا، وحين انتقلت مؤخرا إلى العلم المعرفى فالإدراك، انتهت إلى أن "عرفة" ربما قد يشير إلى المعرفة الشاملة وليس بالضرورة إلى العلم الذى أتحفظ عليه كل هذا التحفظ قبل أن تتمدى يا مولانا فى تنبيهاتك هذه حول الحذر من تقديس أغلب مستويات العلم/الحرف/الساكن وأشكاله.

دعنى أنقل لك يا مولانا فقرة من نقاشى (مشاجراتى) مع شيخى محفوظ حول هذه النقطة دارت يوم لقاء استغرقت به لحسن حظى بتاريخ (الأثنين 1995/1/9) ونشرت هنا فى سلسلة نشرات فى "شرف صحبة نجيب محفوظ" بتاريخ 2010/2/18 جاء فيها:

".....قلت له إن العلم الآن يقفز قفزات عملاقة، ويغير من مناهجه،

إن العلم الآن يقفز قفزات عملاقة، ويغير من مناهجه، وينقدها، ويضيف إليها فك حركه وثابة، لا يستطيع أن يلاحقها كثير من العلماء أنفسهم عبر العالم

العلم عند علوم ومناهج الستينيات حتى الثمانينيات على الأكثر، ثم أضفت أن العالم لا يكون عالما بحق إلا فك جو من الحرية التكد لا تضع حدودا لحركية وعيه وتفكيره

العلماء الأتقدر على الإضافة الآن، يأملون فك توسيع دائرة حركتهم المعرفية بالنهل من

وينقدها، ويضيف إليها فى حركة وثابة، لا يستطيع أن يلاحقها كثير من العلماء أنفسهم عبر العالم، فما بالك عندنا، حيث توقف أغلب من يتصور أنه يتعاطى العلم عند علوم ومناهج الستينيات حتى الثمانينيات على الأكثر، ثم أضفت أن العالم لا يكون عالما بحق إلا فى جو من الحرية التى لا تضع حدودا لحركية وعيه وتفكيره، ..... وأن العلم الأحدث بمعنى الأحدث صار يعد، وينذر، ويوصى، ويشترط السماح بإعادة النظر فى كل المعطيات دون استثناء، فكيف نطمئن إلى درجة السماح اللازمة لمثل هذه الحركية إذا كان الحكام لهم مرجعية من خارج هذه الحركية الطليقة.....؟

"...بصوت متواضع بعد تفكير صامت، أصر الاستاذ، أنه لا يظن أن الأمر كذلك تماما، وحتى إن كان كذلك، فلنأخذ من العلم ما لا يحتاج لكل هذه المناهج الجديدة، ولنركن جانبا، ولو لبعض الوقت الخوض فى المسائل الفلسفية ونوع التفكير الذى يمزج العلم بالعالم هكذا، ثم راح يؤكد أن الحل الحقيقى لأزمة الإنسان المعاصر، هو فى الإنجاز العلمى تحت كل الظروف.

.....

أبنتُ له ما يصلنى من أن العلماء الأقدر على الإضافة الآن، يأملون فى توسيع دائرة حركتهم المعرفية بالنهل من مناهج وروافد الفن والأدب والإيمان، ثم إن المناهج العلمية الأحدث تتحدى الآن ما أصبح يسمى الكنيسة العلمية، يتجلى ذلك خاصة بالنسبة للعلوم الكمومية الأحدث، والعلم المعرفى الأحدث أيضا، لم أكن قد قرأت له بعد مقالى القصير **"أينشتاين شاعرا"** [1] الذى نشرته فى الأهرام لاحقا وأعجب به حين قرأته له، وهو الذى عرّفت فيه الشعر بما هو تشكيل لغوى مقتحم، وليس مجرد قرص الشعر فى قصيدة، وبالتالي فإن الشعر شعرٌ، حتى لو كانت أبجديته علمية بحتة، أو رياضية صرف، أطرق طويلا أكثر، وقال: "إنه لم يتابعنى بالتفصيل، ولكنه فى النهاية يوافقنى من حيث المبدأ"، خيل لى أنها موافقة مجاملة ولو جزئيا، ثم عاد يصر على أن تضخم عطاء العلم، حتى من خلال منهج محدود سوف يتيح لأى حكم كائنا من كان أن يكون عصريا، وأن يتقدم أكثر فأكثر حتى يصلح أخطاه لصالح ناسه.

أعلنت له شكوكى حول هذا الاحتمال، وجادلته كثيرا، وضربت له مثلا من التسطیح الجارى فى صورة تلك المحاولات التبريرية المتعسفة لتفسير النص الدينى بالنص العلمى المغلق حيث توقف هؤلاء المفسرون عند أصنام المعاجم، ومنقول الحكايات.

**(انتهى المقتطف)**

والآن يا مولانا: أى علم تنبهنا أنت إلى قصوره هكذا قبل ذلك بمئات السنين؟، وأى جهل تدعونا إلى النهل منه لنزداد علما؟

وقال لمولانا نفرى من "موقف أنا منتهى أعزائى":

وقال لى:

"العلم على من رأى أضر من الجهل"

إن المناهج العلمية الأحدث تتحد الآن ما أصبح يسمى الكنيسة العلمية، يتجلى ذلك خاصة بالنسبة للعلوم الكمومية الأحدث، والعلم المعرفى الأحدث أيضا، لم أكن قد قرأت له بعد مقالى القصير **"أينشتاين شاعرا"**

وقال لك:

"العلم

علك من رأئك أضر من

الجهل"

القرآن يا مولانا هو

طريق رؤية ، ونور

هداية، وهذا العلم

المعلوماتك التفسيرية

إنما هو إعاقة لإشراقات

القرآن فك الوعد

هو يفتح له الباب الثالث

لمزيد من السعد،

### فقلت لمولانا:

مازلت يا مولانا تنبئنا إلى قصور بعض العلم حتى الإضرار، والضرر بالنسبة لهذا العلم الأصعب هنا كما وصلني هو أن يتصور أحدهم أن العلم ذاته يجلى الرؤية أكثر إذا ما تجلت، مع أنني عرفت عنك يا مولانا أن الرؤية هي هدف لا يجوز أصلاً أن نصف به أحد، أو يصف أحد نفسه بأنه وصل إليه، اللهم إلا كشافاً مرحلياً إلى رؤية بعدية، وبالتالي، فقد يكون من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن نعرش على هذا الذي يستحق وصف "من رأى"، فمن رآه يا مولاي ربما يكون قد خدعه العلم الذي هو دون الرؤية بمراتب كثيرة، فيختزل ما حسبه رؤية إلى علمه هذا، فتختنق منه احتمالات امتدادات رؤيته، فيضره علمه هذا، وهذا أهون بكثير مما جاء في المقتطف من حوارى مع شىخى محفوظ تحت عنوان "التفسير العلمى للقرآن"، فالقرآن يا مولانا، "وعى خالص" كما تبين لى مؤخرًا، وهو حين يقاس بمثل هذا العلم الأسطح، حتى لمن لم يره، يتململ من هذه الوسيلة التى تبدو لمن يستعملها، أنها تكريم للقرآن الكريم أو تمجيد لسبقه أو تأكيد لصحته وأنه من لدن عزيز حكيم، القرآن يا مولانا هو طريق رؤية، ونور هداية، وهذا العلم المعلوماتى التفسيري إنما هو إعاقة لإشراقات القرآن فى الوعى، فأى ضرر وأى غباء من مهزوزين مدعين من هذا التسطيح وهذه التبعية، ضرر لا يقتصر على سجنهم فى قصورهم المنهجي فحسب، بل يمتد إلى الإضرار بالمستسهلين والمتعجلين المؤلفّة قلوبهم، بل أنه قد يعتم الرؤية عن من انتبه إلى الهداية المباشرة من نور القرآن الكريم، وهكذا يتضح لى أكثر كيف يكون العلم أضر على من رأى (إن وجد)، وطبعاً على من سعى ليرى (استلهاها وتناغم وعى) وحتى على من كدح لعله يلاقيه فيأمل أن يرى.

أما الجهل يا مولانا كما وصلني منك الآن، فهو أقل ضرراً لأنه أنفع ترشيداً، وأول أفضاله أنه يشكك من تصور أنه رآه: أنه فعل، وبالتالي فهو يفتح له الباب التالى لمزيد من السعى، وكثير من الكدح، حتى يأمل من جديد أن يرى، وهكذا ينقذه الجهل من جديد، بوعده أن ثمة رؤية تنتظره بعد الرؤية، ثم نور يلوح فى وسط ظلام الجهل المشرق إلى ما لا نهاية، فالجهل هنا هو القائد باستمرار إلى مواصلة السير، فمن أين يأتى الضرر.

\*\*\*\*\*

وقال لمولانا النفرى من "موقف وراء المواقف"

وقال لى:

اختم علمك بالجهل وإلا هلكت به

فقلت لمولانا:

هذا هو، ولو انتبه أولئك الذين غرهم علمهم، فحسبوه مسك الختام، فراحوا يزينون القرآن الكريم بهذا الذى وصلوا إليه، إذن لعرفوا أنهم إنما يهلكون وتهلكون بما وصلوا إليه، لأنهم لم يختموا علمهم بالجهل الذى يفتح لهم أبواب آفاق المعرفة، وأبواب الإدراك، ونبض الوعى، التى هى ثروة يسميها من لا يعرفها "جهلاً"، ويتناول عليها من يخاف منها فيسميها خرافة.

حين نختم علمنا بالجهل نحيا بكل من العلم والجهل، فالجهل فالعلم، فالعلم فالجهل، ويتكرر الإحياء ويتوارى الهلاك أو يستحيل

\*\*\*\*\*

وقال لمولانا النفرى من "موقف حجاب الرؤية"

وقال لى:

وكثير من الكدح،  
حتك يأمل من جديد أن  
يرك

وقال لك:

اختم

علمك بالجهل وإلا هلكت

به

لو انتبه أولئك الذين  
غرهم علمهم، فحسبوه  
مسك الختام، فراحوا  
يزينون القرآن الكريم  
بهذا الكدح وصلوا إليه،  
إذن لعرفوا أنهم إنما  
يهلكون وتهلكون بما  
وصلوا إليه، لأنهم لم  
يختموا علمهم بالجهل  
الذى يفتح لهم أبواب  
آفاق المعرفة، وأبواب  
الإدراك، ونبض الوعى،  
التى هى ثروة يسميها  
من لا يعرفها "جهلاً"،  
ويتناول عليها من يخاف  
منها فيسميها خرافة

حين نختم علمنا بالجهل  
نحيا بكل من العلم  
والجهل، فالجهل فالعلم،  
فالعلم فالجهل، ويتكرر  
الإحياء ويتوارى الهلاك

الجهل حدٌ في العلم، وللعلم حدود، وبين كل حدين جهل

**فقلت لمولانا:**

حين أعلم طلبتي وزملائي الأصغر أن البحث العلمي الجيد لا تكون نتاجه عزيمة ورائعة لمجرد أنه أثبت صدق وصحة الفرض الذي بدأ به، وإنما يكون لبنة في بناء العلم الحقيقي حين تتخلق من نتاجه فروض جديدة، تثير احتمالات جديدة، ومن ثم بحوث جديدة، وهكذا أبداً، وقد وصلني يا مولانا أن تلك الفروض وما يتفرع منها باستمرار هي موازية لما جاء في هذا المقتطف لما هو جهل بين كل حدين.

فإن صح هذا يا مولانا في التفكير العلمي الذي لم يستسلم للمناهج المغلقة النهائية، الحاسمة النتائج، فهو يصح أكثر بكثير في مناهج العارفين دائمي السعي في نور القرآن، وهدى الجهل، واحترام العلم معاً.

\*\*\*\*\*

وقال لمولانا النفرى من "موقف محضر القدس الناطق"

وقال لى:

العلوم كلها حجب، كل علم منها حجاب نفسه، وحجاب غيره

**فقلت لمولانا:**

آه لو علم هؤلاء الذين يلتقطون نتائج أى علم يسمى كذلك، فيفرحون بها، ويصفقون لها، دون أن ينتبهوا أن هذه المعلومة نفسها تحجب المعلومة الأهم وراءها في نفس موقعها، وأن العالم العارف الكادح الساعى، لا يقف عندها، ولا يصفق لها، بل يفرح بها، لينطلق منها، ليس هذا فحسب، بل إن هذه المعلومة الحجاب، لا تتوقف عند حجب المعلومة الأولى بصفة العلم في رحاب الجهل، بل إنها تحجب معلومات أهم وأعمق، وأكثر عوناً منهجاً ومحتوى، وهذا ما تصنعه أغلب التفسيرات اللفظية والمعجمية للقرآن الكريم، ويسمى للأسف علم التفسير، وبالتالي فإن المستسلم لهذا العلم دون سعى أو تدبر، سوف تسكن حركته وراء حجاب غيره، وكأن مثل هذا العلم يحجب النور بدلاً من أن ينشره ويضيء به ويسلم أدواته لكل صادق يحاول وهو يملك أدوات صدقه من واقع فرحته ورضاه بجهله كما جاء في المقتطف التالي الذى نختم به نشرة اليوم:

\*\*\*\*\*

وقال لمولانا النفرى من "موقف حجاب الرؤية"

وقال لى:

الجهل ثمرة العلم النافع، والرضا به ثمرة الإخلاص الصادق

**فقلت لمولانا:**

أن نرضى بالجهل لا يعنى أن نتوقف عنده، ولا أن نستكين إليه، فما أوصلنا إليه نافعاً هكذا إلا علم نافع أثمر هذا الجهل، أليس بين كل حدين من حدود العلم جهل؟! فنفع العلم يقاس بما أوصلنا إليه من جهل، نرضى به لننتقل منه من جديد، وهل يستطيع ذلك إلا مخلص صادق يعطى لكل مرحلة حقها بحقها، ويتكلم فيها بلغتها، وتحركه وعودها، فهو يرضى بالعلم مثمراً جهلاً، ويرضى بالجهل صادقاً مخلصاً إلى علم جديد، وهكذا.

الأهرام 30-5-2005

\*\*\* \*\*

أو يستحيل

الجهل حدٌ في العلم،  
وللعلم حدود، وبين كل  
حدين جهل

وقال لى:

العلوم

كلها حجب، كل علم

منها حجاب نفسه،

وحجاب غيره

وقال لى:

الجهل

ثمرة العلم النافع، والرضا

به ثمرة الإخلاص الصادق

## ARABPSYNET PRIZE 2013

جائزة يحيى الرخاوي لشبكة العلوم النفسية العربية 2013

مخصصة هذا العام للطب النفسي

[pdf.www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013](http://pdf.www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013)

في الذكرى العاشرة لتأسيسها (جوان 2013)

الشبكة تسعى لتكريم مجموعة من العلماء بإسنادهم لقب

"الراسخون في العلوم النفسية"

[www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf)

\*\*\* \*\*

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"قراءة النم البشري من منظور تطوري انطلاقا مما إدراك أ. د. يحيى الرخاوي"

الإصدار الفطلي لنشرة "الإنسان والتطور" (حسب المحاور)

خريف / شتاء 2012/2013

"في تجليات ماهو موت"

بروفيسور يحيى الرخاوي

[rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com)

مستند اكروبات

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf)

مستند مضغوط

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe)

<https://www.facebook.com/notes/arabpsynet-mails/447717871977992>

\*\*\* \*\*

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

أرسال طلب الحد بريد الشبكة

[arabpsynet@gmail.com](mailto:arabpsynet@gmail.com)

مصحوبا بالسيرة العلمية

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>